مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

بلاّغَةُ الأنْسَنَةِ في شِعْرِ كُشاجِم المتوفى (360هـ)(أنسنة المحسوسات والمعنويات مثالاً)

أ. م. د. جواد عودة سبهان
كلية الآداب / قسم الصحافة / جامعة أهل البيت (عليهم السلام)

التخصص العام للبحث: اللغة العربية	التخصص الدقيق للبحث: البلاغة

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

بلاغة – الأنسنة – بلاغة الأنسنة - كُشاجم

المستخلص باللغة العربية:

استأثر ديوان كُشاجم بنصيب وافر من الصور الشعرية القائمة على (عنصر الأنسنة)، لذا يحاول الباحث التركيز على الأثر الفاعل الذي يُضيفه هذا العنصر في تشكيل الصورة الفنية، وبيان الجانب الجمالي الذي يؤدّيه الانزياح اللغوي؛ إذ عمد الشاعر في مواطن كثيرة من ديوانه إلى إضفاء صفات الانسان على المحسوسات، والمعنويات، فشخصها كائنات لها صفات البشر. لذلك استرعت انتباه الباحث وفرة هذه الظاهرة، وما أضفته من صفة جمالية على صعيد المعنى والدلالة والصورة الشعرّية، فعمل على إبراز قيمتها الأدبية والفنية.

المقدمة

الحمدُ لله الذي انقطعت إليهُ كُل علةٍ، وله انتهتْ كُلُّ قدرةٍ، ولإرادته خضعتْ كُلُّ إرادةٍ، وبه تعلَّق كُلُ سبب، وإليه توجه كُلُّ طلبٍ، رجع إليه كُلُّ أمرٍ، فهو الله ربُّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

أَمَّا بَعدُ؛ فرُبما لا نغالي إذا قلنا إن الشعر في العصر العباسي قد توافر على خصائص الشعر المهمة التي جعلته شعراً يعتدُّ به، ويحظى بمنزلةٍ رفيعة سامية، ويبلغ شأواً بعيداً من الجودة والغزارة والتنوع، ويتميز بكثرة أدبائه وجودة نتاجهم الأدبي، ووقف شامخاً يصور آفاق الحياة المختلفة، ويعبر عن نوازع الادباء في شتى ميادين الحياة.

إنَّ هذا العصر احتضن عدداً غير قليل من الشعراء مِمَّن كان له سَهُم نافذ في مضارب الأدب والبلاغة، والبيان؛ إذ أسهموا في رفد الحركة الشعرية، وتركوا بصماتهم الواضحة على أدب ذلك الصر. لذا كثرت الدراسات عن الشعراء في هذا العصر؛ ولكن الدراسات النقدية القائمة على معطيات حديثة لتلك المرحلة، تحتاج إلى مزيد من البحث؛ خصوصاً ما يتعلق بدراسة (بلاغة الأنسنة)؛ لأن التدقيق في التراث من زاوية نقدية وجمالية حديثة، تسهم في معرفة التطور الفني، وتبرز شيئاً من الأبعاد الجمالية في الشعر العباسي لخلق الابداع والتجديد؛ لأن الأدب لا يثمر إلا بالكشف التلقائي ببواعث التفاعل المباشر بين المتذوق والمبدع، من خلال نصوص عولجت سابقاً بسلك تقليدي، ونصوص جديد لم يطرقها أحد من قبل، وهي تُعد حرثاً جديداً في أرض جديدة، تقوم على أسس حديثة في التحليل الفني للشعر. لهذا كان السعي في هذا البحث موجهاً إلى تلمُّس (بلاغة الأنسنة) في شعر كُشاجم (ت360هـ) من فاعلية واضحة في التشكيل الفني والمعنوي لشعره، ودورها الفني والجمالي في صوره الشعريّة، اذ لم يجد الباحث دراسة أكاديمية مُتخصصة تكشف عن هذه الظاهرة في شعره؛ لذا حظيت باهتمامه، وعزم على دراستها؛ ليكون عمله هذا إطلالة علمية تكشف عن جانب مهم من جوانب شعر كُشاجم الزاخر بكل نفيس وقيم.

ولهذا اقتضت طبيعة البحث أن توزع خطة الدراسة على تمهيد ، وقد جاء التمهيد في شقين، يدرس أولهما (الأنسنة) (المصطلح والمفهوم) ويدرس ثانيهما ترجمة الشاعر ثُم أنسنة المحسوسات وبعدها أنسنة المعنويات وتتلوهما خاتمة بالنتائج، ومن ثُمَّ قائمة بالمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة مستقلة جادة على صعيد (بلاغة الأنسنة)، ولكن هناك دراسات تطرقت إلى شخصية الشاعر كُشاجم ومنها (فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين) لمصطفى الشكعة، و(الشعر في ظل سيف الدولة) لدرويش الجندي، و (الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني) لسعود وعبد الجابر، و(أبو الفتح كُشاجم البغدادي في آثاره وآثار الدارسيين) لثريا عبد الفتاح، (والصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب) لجابر عصفور، وهناك بحوث أخرى تطرقت إلى الشاعر كُشاجم ومنها (كشاجم شاعر الولاء والقصيدة) و(الوصف في شعر كشاجم)، (الصورة الفنية في شعر كُشاجم)، (مجال الطبيعة في شعر كشاجم)، (الحدث في شعر كُشاجم)، (صورة المجتمع في شعر كُشاجم)، (ألفاظ الطبيعة في شعر كُشاجم). ومع ما تحمله هذه الدراسات التي تمت على أيدي باحثين مشهود لهم بالقدرة على معالجة قضايا الأدب وفنونه. إلا أنها لم تلتفت كثيراً إلى جانب (بلاغة الأنسنة في شعر كُشاجم).

فمن يطلع على شعر (كشاجم) يجد فيه أنسنة الأشياء المجردة، كالعود، والسحاب، والنبات، والخمر، والإناء، والمطر، والأرض، والنرجس، والأشجار، والتين، والرمان، والدجاجة، والدنان، والنخيل، والمشط، والمحبرة، والدواة، والأطلال). فقد أسبغه عليها الشاعر الحياة، والحركة، والمشاعر، والأحاسيس، وأضافة إليها بعضاً من الأعضاء الأنسانية، فبدت – بوساطة بلاغة الأنسنة – متحركة، ومليئة بالأحاسيس والمشاعر الإنسانية المختلفة بقولها من التقرير والمباشرة إلى بؤرة قادرة على استقطاب شبكة من الإيحاءات والإشارات الرمزية.

التمهيد

أولاً: بلاغة الأنسنة (المصطلح والمفهوم)

قبل أن نسلط الضوء على مفهوم الأنسنة من الناحية الاصطلاحية لابد لنا أن نشير إلى دلالتها اللغوية التي ذكرها اللغويون في معاجم اللغة، ومنهم ابن منظور، فقد أشاره إلى أن الأنسنة لغة مأخوذة من لفظة إنسان (الإنس؛ الإنسان، وهو معروف؛ يجمع على ناس (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،د.ت، ، مادة أنس: 216/1). أمّا من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت التعريفات التي تناولت الأنسنة فقد عَرضها (مجدي وهبة) بأنها (اصطلاح نقدي يتمثل في تحويل الجمادات إلى بشر يحسون ويشعرون)(مجدي وهبة وكامل المهندس، 1984م، 102)، وعرَّفها (الصائغ) هي (العملية التي يمنح بها شيء ما الصفات الإنسانية) (عبد الإله الصائغ، 1987م،416)، ورأى آخر أنَّ الأنسنة: (إعطاء خاصية بشرية للجماد أو للمعاني المجردة)(د. سعيد علوش، 1985م، 85)، وقد اطلق بعض الدارسين والباحثين على ظاهرة تشخيص الجمادات، والمعنويات، والطبيعة، والحيوانات في النصوص الأدبية مصطلح (الأنْسَنَة)؛ لكون هذه الأشياء تُضفي عليها من الصفات الإنسانية التي تبعث فيها الحركة والحياة والمشاعر والوجدان وغير ذلك، فتجدوا كأَنها إنسان حقيقي، ومن هذه الدراسات (أنسنة الطبيعة في الشعر الأندلسي)، و(أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي)، و(أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف)، والتعريفات الأدبية لمصطلح (الأنسنة) – بوصفها مصطلحاً بلاغياً ونقدياً – وبين دلالتها اللغوية التي وردت في معاجم اللغة وهي (الإنس، الإنسان) فجوهر الدلالة اللغوية لم تبتعد عن الدلالة الاصطلاحية التي مفادها إضفاء الصفات الإنسانية المتنوعة على الجمادات، والمعنويات، والحيوانات، والمجردات، وعناصر الطبيعة، وشمولها بالسمات الإنسانية من كلام، وأفعال، وأحاسيس، فتبدو وكأنها أشخاص حقيقة، وفي ذلك إحاطة شاملة لجوانب الأنسنة المتعددة وغير المحدودة. ولما كانت الأنسنة تُمثل نسقاً جمالياً فقد أغرت الدراسات الأدبية لتُشكل إحدى المقاربات الأدبية والاشتغالات الإجرائية التي أخذت تنتشر في الدراسات الأدبية لما تُحققُ من بُعدٍ جمالي في المنجز الشعري؛ لأن الجمالية العربية صار من مهماتها صنع أوجه للتعبير الأدبي عن طريق التعبير الذي يقوم على تخيل المعنى(د. صلاح فضل، 1998، 257)؛ لأن ابداع الشاعر للصورة الشعرية تطلب منه أنسنة المحسوس، والذهن؛ لإثارة حاسة المتلقي نحو النص، ووضعه في مساره الإبداع الذي تحفظ للغة ببكارتها، إذ جاء ترسيخ فعل الأنسنة في الشعر، لضف فاعلية وجدانية على الجسد الكائن المؤنس، لذلك نجد الشاعر يستبيح عذرية اللغة؛ ليتجه بالنص الشعري نحو رؤى أخرى وجدها عند معايشته للواقع، مما جعلها تبدو في صورة حية تعكس طبيعة ما يحسه الشاعر (بدوي طبانة، 1999م، 124)، لذا تمثل بلاغة الأنسنة مظهراً من مظاهر الشعرية؛ لأنه تمثل انزياح اللغة عن مقصدّيتها الحقيقية والابتعاد عن دلالات اللغة التقريرية إلى دلالات مجازية تنم عن مقدرة الشاعر على توظيف العناصر البلاغية المتعددة وتطويعها لخدمة غرضه المنشود، فضلاً عن استثمار ما يمتلكه من خيالٍ واسع وثراء لغوي يمكناه من استعمال اللغة استعمالاً جمالياً بلاغياً(د. مرشد أحمد، 2002م،55)، وتُعدُّ الصورة المتأتية من الأنسنة من أروع القيم الجمالية في الفن الشعري، لأنَّها رؤية فنيةُ لا تخضع للمقاييس المنطقة، بل يضفي الشاعر

بوساطتها صفات إنسانية على الأشياء المختلفة فيشكلها تشكيلاً إنسانياً، فيجعلها تتحرك، وتحس، وتعبر، وتتعاطف، وتقسو، وتتفاعل بحسب الموقف الذي أُنسِنتْ من أجله(فاطمة سعيد احمد حمدان، أطروحة دكتوراه، 1989م، 312).

وتُعدُّ الاستعارة والتشبيه والمجاز العقلي من أبرز وسائل صورة الأنسنة بلاغياً؛ لأنها تقوم بالأساس على الانزياح اللغوي والانحراف في الدلالة، والاستناد إلى الخيال، والأنسنة في ضوء هذا المفهوم اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان أو أكثر في مركب لفظي اقتراناً دلالياً خارجاً عن حقيقة اللغة، تتولد عنه مفارقة دلالية تثير لدى المتلقي شعوراً بالدهشة والطرافة، وتكمنُ علة الدهشة والطرافة فيما تُحدثُهُ المفارقة الدلالة من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع(دراسة اسلوبية إحصائية، سعد مصلوح، 187).

يضاف إلى ذلك أنَّ الأنسنة تُقرب المعنى وتفيد المبالغة فيه، وتفعل بالنفس ما لا تفعلهُ الحقيقة اللغوية، فضلاً عن تحسين المعنى وإبرازه، وهي إلى جانب ذلك كُلّه طريق للتوليد والتجديد؛ لأنها تكشف عن صورٍ جديدة ومعانٍ بديعة تأخذ بمجامع القلوب(ثائر سمير، أطروحة دكتوراه، 2004م، 24).

من هنا انغمس شاعرنا كُشاجم في الطبيعة بكل ما تحمله من رياض وطيور وأزهار وورود ونبات وأشجار وغيرها وأخذ يضفي عليها مشاعره وأحاسيسه وقد وهبها سمات الإنسان فأصبحت الطبيعة لدى الشاعر تنطق وترى وتتحور وتسمع وتبكي وتضحك... وهي تتميز بكل حواس البشر الحي وكان الشاعر يهدف من عملية الأنسنة، فضلاً عن خلق الجمالية في الوصف، التعبير عن أفكاره وأحاسيسه وعالمه ومجتمعه فإذا ما دققنا في وصفه نجده انعكاساً دقيقاً لنفسية الشاعر ومشاعر الإنسان عموماً.

ثانيا: ترجمة الشاعر (كُشاجم):

هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي شاهك الرملي. سمى نفسه بـ (كُشاجم)، لما كان يتقنه من العلوم، وقد أشار الحصري القيرواني إلى ذلك بقوله (وقد ذكروا أنَّهُ سمّى نفسه كشاجم لما يعمله، فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من منجّم، والميم من مغنٍ) (الحصري القيرواني، د.ت، 107)، ولد بالرملة، احدى ضواحي بغداد، في حدود سنة (280هـ) وفيها نشأ وشبَّ حتى تلقى علومه اللغوية والأدبية والفقهية والفلكية على أساتذتها وعلمائها، وقد عاصر سبعة من الخلفاء العباسيين(محمد بن شاكر بن أحمد بن شاكر الكتبي، 1973م، 99/4)، وبقي في بلاد الشام مستقراً، وأصبح من فحول الشعراء الشاميين في القرن الرابع الهجري مما حدا الثعالبي إلى أن يذكر كشاجم بين شعراء الشام، وقد مولدي أهل الشام، ومن فحول البلاط الحمداني(أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، 1983م، 33/1).

ترك كشاجم آثاراً كثيرة منها: خصائص الطرب، كتاب القصائد والأشعار، كتاب الصبيح، كتاب المصائد والطرائد (14) (محمد بن شاكر بن أحمد بن شاكر الكتبي، 1973م، 99/4)، أمَّا شعره فمليح الشعر، رقيق الطبع، حسن الوصف، وقد أشار الثعالبي إلى أهمة شعره من عدة جوانب: وكشاجم كان ريحان الأدب في بلاد الشام(15) (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي،1983 132/2)

أما وفاته فتختلف المصادر حول سنة وفاة الشاعر كُشاجم حيث نشرت بعض المصادر إلى أَنه تُوفي في سنة (330هـ) أو (350هـ)، (348هـ)، (360هـ) ويميل الباحث إلى سنة 360هـ لكثرة ما وردت.

إنّ تنقلات كشاجم، ورحلاته، بين العراق والشام ومصر، قد وفرت له بيئة خصبة، متنوعة الظواهر الطبيعية، من أشجار وبساتين ونبات ونخيل ونرجس وتين ورمان ومروج خضراء ... الخ، يشهد فيها فصول السنة الأربعة، فيتغنى بجمالها وكُشاجم في تنقلاته تلك، يصحب الأدباء والشعراء والفقهاء والمنجمين والعلماء في شتى ميادين المعرفة، ممّا أثرى معرفته العلمية، وجعله مثقفاً بثقافة عصر الذي عاش فيه، وسنجد أثر الطبيعة الخلابة، والثقافة المتنوعة، عند دراسة (الأنسنة في شعره) لاحقاً.

ومن اجل استكمال الجانب الآخر للبحث سنسلط الضوء على أبرز تلك الأنسنة في شعره، ونقاربها مقاربة دلالية تسهل سبر أغوارها، لنثق عند دواعي شيوعها وتوظفيها، ودورها الفاعل في التشكيل الجمالي لصوره الشعرية، فهي إذن لون من ألوان النخيل، تتمثل بإضفاء الحياة والحركة على الجمادات والمعنويات، والمجردات، وقد شكلت الأنسنة ظاهرة لافتة للنظر في شعر كُشاجِم، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولاً: أنسنة المحسوسات

المحسوسات هي الأشياء التي تُسهم الحواس الخمس في إدراكها، عن طريق عملية الإدراك الحسّي، ويَعَدُ العالم المحسوس مصدر الشاعر الرئيس في اقتناص صوره الشعرية، وتُمثل الحواس الخمس القنوات الرئيسة التي يستقبل بها الشاعر مُدركاتها المختلفة، ليُدخلها في جوهر العملية الإبداعية بمساعدة الخيال الخلاَّق، والموهبة الفذَّة التي تُجسد تجربته الشعريّة (فاطمة سعيد احمد حمدان، أطروحة دكتوراه، 1989م، 318).

وقد وظَّف كُشاجم المحسوسات بشكل واسع في شعره وعمد إلى إضفاء الصفات الإنسانية عليها، ليبث فيها الحياة والحركة، ويشاركها مشاعره وعواطفه، وتبيّن عن طريقها بعض أحاسيسه وحالاته النفسية المتباينة، بوصفها وسائل فنِّية مهمة تُسهم في جلاء أفكاره وعواطفه وتقرّب بعض مضامينه الشعريّة.

فمن شواهد هذه الظاهرة في شعره هي:

1- السحابة الماطرة:

من المعروف أَنَّ الجمال الأدبي في الشعر يتوقف في كثير من الأحيان على امتزاجه بمشاعر فائله واختلاطه بأحاسيسه وأن يكون مُمثلاً لانفعالاته النفسية مع واقع الحياة أو خيالاتها.

وهذا ما توافر بشكل واضح في وصف كشاجم للسحابة الماطرة، التي جلاها تجلية إنسانيته، فجعلها ذا عواطف وأحاسيس، يقول فيها:

وغاديـــة والشمـــــس في طرادتها مكنونها للسِّرّ فـــي فؤادهـــــا
مريضـــةُ تشكـــو إلـــى عُوّادهـــــا وبياضها قد ضاع في سوادها
(الديوان : 66)

وقوله: كأنما نسألهـــا عن حالهـــا وراحت الرَّياح من كلالهـــــا
وكـــاد أن ينهـــض لاستقبـــالهـــا فسمحت بالري من زُلالهـــا
(الديوان :59)

وقولـــه: سارية بين الدياحي السود مكحولة الاجفان بالسُّهـــــود
(الديوان: 63)

وقوله: لها على الروضة في بعادها تعطف الأم على أولادهـــــا
(الديوان: 164)

إنَّ ما يلفت النظر في هذه الأبيات قيام صورها على بلاغة الأنسنة المنتظمة في سِلك استعاري مُتتابع، أخذ يتنامى ليستوعب النص على وفق وحدة فنية يكملُ فيها كُل بيت بما أنهى إليه سابقه وهذا ما يسمى بـ (التعالق الاستعاري) (فاضل عبود خميس التميمي، أطروحة دكتوراه، 1995م، 89)، وهذا أدّى إلى بسط الاستعارات (فالسحابة في الصورة الأولى تُخبئ السّر في فؤادها، وتمرض وتشكو وتزار)، وهي في الصورة الثانية: (تتحدث وتحاور، وتزور وتستقبل) وفي الصورة الثالثة (تكتحل، وتسهر وتأرق)، وفي الصورة الرابعة (تحنُّ، وتنعطف)، الذي هو سلسلة من الاستعارات المكنية المتعالقة بوساطة التركيب. فأدى تعالق الاستعارات الى نقل الشعور الذي احتل مساحة واسعة في وجدان الشاعر من الجانب الإنساني المعين.

2- أنسنة الدواة:

حرص كشاجم على تصوير الدواة تصويراً بارعاً، وعمد إلى التشبيه الهادف إلى الشرح والتوضيح:

صِيْنَتْ بِمَرْفَعِهَا الدَّوَاةُ فَأَصْبَحَتْ مِنْ شَرِّ آفَاتِ التَّبَذُّلِ سَالِمَـــهْ
حَسُنَتْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ مِنْ جِنْسِهَـــا وَغَدَتْ لَهُ إِذْ نَاسَبَتْهُ مُلائِمَـــهْ
فَكَأَنَّهَا مَلِكٌ عَلَى كُرْسِيِّـــــــهِ أَوْ غَادَةٌ وَسْطَ الأَرِيْكَةِ نَائِمَـهْ
سَوْدَاءُ مَجَّتْ رِيْقَتَيْنِ فَرِيْقَـــةٌ لِلْمُلْكِ بَانِيَةٌ وأُخْرَى هَادِمَـــهْ
مَزَجَتْ دِمَاءَ العَائِدِيْنَ بِدَمْعِهَـا فَأَنُوفُهُمْ أَبَداً لَدَيْهَا رَاغِمَـــهْ
زِنْجِيَّـــةٌ عَجْمَـــاءُ إِلاَّ أَنَّهَـــا بِجَلِيْلِ تَدْبِيْرِ البَرِيَّةِ عَالِمَـــهْ
(الديوان: 164)

ان القارئ لهذه الأبيات يلحظ أنَّ الشاعر قد وظف بلاغة الأنسنة في تشكيل بعض صورها الفنية بطريقة جمالية، وقد استثمرها في تأدية المعنى وشد المتلقي لسماعها، وقد أسبغ فيها بعض صفات الإنسان على (الدواة): (فكأنها مَلِك على كُرسَّيه) ، (أو غادةُ وسط الأريكة نائمة)، (سوداء مجَّتْ)، (زنجيّةٌ عجماءُ)، ليؤدي صورة واسعة الإيحاء وهذه الصورة قامت في بنيتها الفنية على نقل معاني الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز، والإسناد إلى عنصري الإيحاء والتخيل، والتواشج بين اللغة والخيال، وهذا التواشج قد زاد من جمالية النص وقيمته التصويرية المستندة إلى فن التشبيه (فكأنَّها).

3- أنسنة الثلج:

أما وصف الثلج، فقد عُدَّ فيه الشاعر مجدداً، إذ (إنَّ الثلجيات فن جديد يظهر لأول مرة، عند شاعري بني حمدان: كشاجم والصنوبري) (مصطفى الشكعة، 1958، 362). وتتجلى صورة الثلج، من خلال أثره في الأرض، ولونه الأبيض الأثير لدى نفس الشاعر. فأرض قد أزينت وتحلت بالزبرجد والدُّر، وأخذت تضحك، لكثرة ما تناثرة على سطحها من ثلوج: فقد حظيت (الأرض) ببعض مختصات البشر في شعر كشاجم، وإن الصفات الإنسانية التي يُحيلها الشاعر على ما لا يعقل إنما هي من أجل غايات بلاغية دلالية، منها الإيغال في عرض المعنى من نحو ما تتلمسه في قوله:

الثَّلْــجُ يَسْقُــطُ أَمْ لُجَيْــنٌ يُسْبَــــكُ ... أَمْ ذَا حَصَى الكَافُورِ ظَلَّ يُفَــــرَّكُ؟
رَاحَتْ بِهِ الأَرْضُ الفَضَــــاءُ كَأَنَهَــا ... عَلَى بُعْدِهِ في الغَدْرِ والطَّبْعُ أَمْلَــــكُ
شَابَتْ مَعَــارِفُهَــا فَبيَّــنَ ضِحْكُهَــا ... طَرَباً وَعَهْدِي بالمَشِيْبِ يُنَسِّــــكُ
أَو فِي عَلَى خُضْرِ الغُصُوْنِ فَأَصْبَحَتْ ... كَالدُّرِّ فِي قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ يُسْــــلَكُ
وتُزَيِّن الأَشْجَــارَ مِنْــــهُ مُــــلاءَةٌ ... عَمَّــا قَلِيْلٍ بِالرِّيَــاحِ تُهْتَّــــــكُ
كَانَتْ كَعُودِ الهِنْــدِ طُــرِّي فَانْكَفَــا ... فِي لَوْنِ أَبيَضع وَهُو أَسْوَدُ أَحْلَكُ

(الديوان: 142)

فقد أورد كشاجم في البيت الثاني صورة للأرض مشخصة بطريقة فنية جميلة وذلك في قوله (راحتْ به الأرضُ الفضاءُ كأنها من كُلِ ناحيةٍ بشغرك تضحكُ) إذ استعارة الضحك والثيب (شابتْ معارفها)، والطرب (طرباً) و (المشيب) بالمشيب يُنسكُ) وأسندها إلى (الأرض). وذلك بالإستناد إلى (فنِ الاستعارة) فجاءت الصورة الاستعارية مبنية على التوظيف المجازي للغة توظيفاً منبثقاً من دلالة الوصف. وقد تمثلت القيمة الجمالية للبنية التصويرية في التضاد الحاصل بين (أبيض، أسود)، فقد خرجت الألفاظ عن معانيها الظاهرة إلى معان مليئة بالإيحاء، وبعيدة عن التقريرية اللغوية، جعلت الأبيات الشعرية ذات فاعلية دلالية تتسم بالجمالية في التصوير.

4- أنسنة النَّخْل:

ومنه ايضاً بلاغة الأنسنة للنخل، إذ قال:

لَنَا عَلَى دِجْلَةَ نَخْلٌ مُنْتَخَلْ ... نُسْلِفُهُ مَاءً وَيَقْضِيْنَــــا عَسَــلْ
مُسَطَّرٌ عَلَى قَوَامٍ مُعْتَــدِلْ ... لَمْ يَنْحَرِفْ عَنْ سَطْرِهِ وَلَمْ يَمِــلْ
ذُو قَدَرٍ فَلاَ عَلاَ وَلاَ سَفُلْ ... يُسْقَى بِمَاءٍ وَهْوَ شَتَّى فِي الأُكُلْ
كَأَنَّمَا أَعْذَاقُهُ إِذَا حَمَــــلْ ... غَدَائِرٌ مِنْ شَعَرٍ وَحْفٍ رَجِــلْ

(الديوان: 147)

فقد خرجت التراكيب اللغوية المشكلة للأنسنة في هذه الأبيات الشعرية عن معانيها اللغوية المُعجمية إلى معانٍ مجازية تقوم على التأويل العقلي، فتراكيب اللغة تقوم بشكل رئيس على الانزياح في تمثيل المعنى؛ إذ استعاره الشاعر فيها صفة من صفات الانسان وهو (قوام معتدل)، ومن ناحية أخرى استعاره (الشعر الكثير الأسود) من الإنسان (غدائرُ من شعرٍ وصفٍ)، ثُمَّ أردفها بتشبيه للنخل (كأنما أعْذاقُهُ إذا حَمَلْ – غدائر من شعر وَصْفٍ رَجلْ)، فأدى الانسجام بين هذه الأجزاء إلى تقديم صورة استعارية جمالية قائمة على الخرق والانزياح الواضح التي عمقت الدلالة الايحائية فيه وعبَّرت عن أدبيته.

5- أنسنة آلة العود:

أُعجب كشاجم بالعود فصوره أيما تصوير (محمود بن الحسين كشاجم، 1970م، 51-57)، وهو كثيراً ما يقرن بين صورة المغنية وصورة العود، فهذه العوادة كثيرة النغمات، تطرب الشاعر وترتقي به إلى مستوى الأفلاك؛ لأنها تعبر عن مشاعره الحزينة، وهذا عودها في صورة شخص يعانق ويتكلم وينطبق، وإذا مست أوتاره بأناملها، كانت يلطف يد الطيب عندما يتفحص عروق المريض، وهي تحركه برشاقة لتستخرج ألحانه الغليظة، كالرعد، والرقيقة الحادة البرق:

وكثيرة النغمات تحسبهــا ... في كل عضو أُوتيت حلقــا
غنَّت فخلت اخاليني طرباً ... أسمو إلى الأفلاك أو أرقى
وترى لها عوداً تعانقــه ... وكلامه وكلامهــا وفقــا
لو لم تحركه أناملهـــــا ... كان الهواء يفيد نطقـــا

(الديوان: 104)

فقد وظف الشاعر في البيت الثالث والرابع أسلوب بلاغة الأنسنة، إذ جعل العود في صورة شخص يعانق ويتكلم وينطق ليُخرج هذا التركيب عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يستند إلى الانزياح اللغوي وهذا زاد في حركة البيتين، ومنحهما تأثيراً واضحاً.

وقوله:

متوسِّد يسري يديه ممهــدُ ... كـــالطفل إلا أنَّـــهُ مفطـــومُ
مستجمُ لا يتبينُ كلامُـــــهُ ... حتى يرى في الصَّدر منه كلومُ
لا يفهم النجوى إذا خاطِته ... وحديثُـهُ مستحسنُ مفهـــومُ

(الديوان: 160-161)

إن القيمة التصويرية لهذه الأبيات تتمثل في انزياح لغتها من الحقيقة إلى المجاز عن طريق عنصري الاستعارة والتشبيه في قوله (كالطفل)، (حتى يرى في الصدر)، (الصدر) إذ أضفى على (العود) سمة إنسانية وهي (الطفل)،

و(الصدر)، وهذا يفضي بتخيلنا إلى الملاءمة بين الأشياء المتنافرة التي لا يمكن حملها على الحقيقة ما بين اللفظ ودلالته.

وقوله:

جاءت بعودٍ كأنَّ نغمتهُ صوتُ فتاةٍ تشكو فِراق فتى

(الديوان: 38)

صاغ الشاعر في هذا البيت صورة تشبيه اعتمد في بعض جزئياتها على أداة التشبيه (كأنَّ) التي ترتبط بشعور عميق وبقوة غير عادية لا نجدها مع الكاف، إذ أسبغ على العود من صفات البشر، فـ (صوت – وفتاة – الشكوى – الفراق) جميعها صفات إنسانية، فهي صورة مُركبة استند فيها الشاعر إلى عنصر بلاغة الأنسنة في بناء أجزائها، متوخياً الدقة في تصويرها، والتأثير في دلالتها.

وأجوفَ معشوق الأنينِ مُخففٍ تُحرَّكُ مِنْ إطرابنا حَركاتُـهُ

لَهُ ألْسنٌ رُكّبْنَ من غير جِسمِهِ يُعَادُ إذا أودَتْ به نَقراتُــهُ

(الديوان: 39)

أثبت الشاعر حقيقة مستعارة من الانسان لأمر مجرد عقلي وهو (العود) فجعل العود إنساناً لَهُ ألْسنٌ)؛ ليُحرك بوساطته الجانب الانفعالي عند المتلقي عن طريق بلاغة الأنسنة ومنحه الحياة والحركة، وهذا الأسلوب أبعد المعنى عن المباشرة والتقريرية، وقربه من الإيحاء الدلالي.

6- أنسنة التين:

والتين من فاكهة حوض البحر المتوسط، وكما امتازتْ دمشق بالعنب كذلك اختصت قديماً بالتين.

حرص كشاجم على وصف التين، فصوّر شكله اللطيف، كبساط الأكل عندما يجمع من أطرفه الأربعة:

أهــلاً بتيــنٍ جَاءَنــا مُبتسمــاً على طبـقْ

يَحكِي الصَّبَاح بَعْضُهُ وَبعْضُهُ يَحْكِي الغَسَق

كسفرةٍ مضْمُومــــةٍ مَجْمُوعَةٍ لا خَلَــقْ

(الديوان: 138)

عمد الشاعر إلى تكثيف صورته الشعرية من خلال احتضانه نسقاً استبدالياً، وهو النسق الاستعاري، وذلك عندما قال (أهلاً بتين جاءنا مبتسماً) إذ جعل التين مبتسماً، وتجلت أهمية الأسلوب الاستعاري وأثره في نفس المتلقي وتصوير المعنى وإبرازه وعرضه بإيجاز في إضفاء طابع الأنسنة على (التين) للتعبير عن المعنى الذي أراد الشاعر إيصاله إلى المتلقي، والشاعر عندما يميل إلى توظيف نسق الاستعارة في نصّه الشعري نراه يعمد ايضاً إلى انزياح تركيبي يُسهم في جمالية النص وشدّ المتلقي (عبد الإله الصائغ، 1987م، 159)، إذ إنَّ (صور الشعر او مخيلاته، تثير جانباً خاصاً من الصورة الاستعارية، المتخزنة في القوة الذاكرة لدى المتلقي)(21) (جابر عصفور، 1992م، 298).

7- أنسنة الغيث والبرق:

أفاض كُشاجم طابع الأنسنة للغيث والبرق، فسجلت عينه للاهة ما تراه من مشاهد وحركات للمطر والبرق، تنفعل لها نفسه، وتختزنها ذاكرته، ليصوغها، فيما بعد صوراً تملأ السمع والبصر.

والغيثُ يبكي في خِلالِ نَباتِها والبرقُ يَضْحَكُ مِنْهُ ضحكَ الشَّامِتِ

(الديوان: 39)

نلحظ في هذا البيت الشعري استعارة واضحة قائمة على فن الانسنة ومستندة إلى الخيال؛ إذ استعاره الشاعر لفظة (البكاء) من الانسان وأسندها إلى (الغيث) على سبيل المجاز، كما استعارة لفظة (الضحك) من الانسان وأسندها إلى البرق على سبيل المجاز، ليبث فيه الحياة، ثُمَّ رشَّح دلالة المستعار منه بأسلوب بلاغي يستند إلى التضاد (يبكي، يضحك)، وفي ضوء ذلك التناقض تنبثق الدلالة الإيحائية وهو ما جعل سياق البيت يتمحور حول أداء أنسني بلاغي منسجم.

8- أنسنة الغيم والروض:

لقد أحب كُشاجم الأرض الرَّوضة كثيراً، فتخذ منها موضوعات لكثير من الصور التي تحتل من نفسه مكاناً مميزاً وجميلاً، مِثْلُ الروض في افتنانه وروعة منظره، وتناسق نباتاته وازهاره:

غَيْــمُ مَدَامِعِــهِ تَفِيْــضُ وَثِيَابُهُ سُــــودٌ وَبِيْــــضُ

يَبْكِي فَيَضْــحَكُ مِنْ طَوِيْــ لِ بُكَائِهِ الرَّوْضُ الأَرِيْضُ

(الديوان: 111)

استعار الشاعر في هذين البيتين (المدامع – والثياب) من الانسان وأسندها (للغيم)، كما استعار (البكاء والضحك) من الانسان وأسندها (للروض)، ويبدو أن لجوء الشاعر إلى الصورة الاستعارية، لأنها عنصر جوهري لإضفاء طابع الأنسنة وتجسيم مظاهر الطبعة، حيث أنَّ حدوث الاستعارة في النص الأدبي يُعَدُّ بمثابة انزياح جميل يُضفي

على النص بعداً إيحائياً يجعل المتلقي في حركة واستمرار في البحث عن ذلك القصد الذي يقصده المبدع (د. نافع محمود خلف، 1990م، 258)، كما تمثلت القيمة الجمالية للبنية التصويرية في التضاد الحاصل بين الألفاظ (سودُ، بيضُ)، (يبكي، يضحك) المتولدة عن تلك الثنائيات المتضادة والمتمثل بالأثر الدلالي الذي يظهر أثره جلّياً عبر توضيحه الدلالة ووجه الصلة العميقة بين شيئين أو دالين والذي استدعى هذا الربط الذي لا تكاد دلالته تتفرق ظاهراً كي تصور لتلتقي مهيأة بذلك المفاجأة الأسلوبية والسمة الجمالية عِبر ما تخلقه من غرابة تصويرية تستدعي من المتلقي التأمّل فيها للكشف عن المعنى الخفي والدلالة المرادة واقعاً والمتحققة في الخفاء (محمد الهادي الطرابلسي، 1981م،121).

9- أنسنة المحبرة:

يصف كشاجم أدوات الكتابة التي يحتاجها، فهو ينتقي المحبرة بعناية فالشاعر يخرج بوساطة بلاغة الأنسنة عن أُطر المنطق العقلي واللغوي، ويحلق في سماء الخيال ليبعث الحياة في الصورة الشعرية، وهو ما يدفعه إل دقة متناهية في تصوير المعاني، وهذا ما نجده في قوله:

مِحْبَرةُ جادَ لِـــي بِها قَمَــرُ مُسْتَحْسَنُ الخلقِ مُرتضى الخُلُقِ
بيضاءُ والحِبرُ في قَراراتها أسْــودُ كالمســكِ جِدُّ مُنْعَبِـــقِ
مِثْلُ بياض العيــون زَيَّنَــهُ مُسْودُّ ما شابَهُ مِـــنْ الحَــدَقِ

(الديوان: 131)

فالصورة البلاغية في هذه الأبيات مستندة إلى طابع الأَنسنة بشكل بيتين وذلك في قول الشاعر (مُسْودُّ ما شابهُ من الحَدَق)، فتبرز الصورة وهي توحي بمعان ودلالات متصلة بموضوع الوصف، فالشاعر أراد عن طريق الأنسنة (المحبرة)، وقد اتخذ من تشخيصها رمزاً وقناعاً يختبئ خلفها ليعبر عن حالته الشعورية والنفسية، وهذا يمثل إحالة صفات إنسانية من اجل وسمها بالإحساس والعاطفة والمشاركة وقد تمثلت القيمة الجمالية للبنية التصويرية في التشبيه (مِثْلُ بياض العُيون)، فتقنية التشبيه هنا يمكن عدَّها خلقاً جديداً ناجماً عن غوص المبدع في أعماق ماهيات الأشياء ليستبصر من خلالها بوشائج جديد بين المدركات لم يكن يعهدها من قبل(سامي حماد الهمص، رسالة ماجستير، 2007، 132)، وقد أدَّت الأداة (مِثْلُ) دورها في مطابقة المشبّه بالمشبه به، بيد أَنَّ هذه القيمة البلاغية لهذا النسق تكمن في الطابع المتناقص المتولد من التقابل الدلالي بين المتضادات (بياض، مُسَودُّ)، وفي ضوء ذلك التناقض تنبثق الدلالة الايحائية.

11- أنسنة المُشط:

نستطيع أن نتلمس مقدر كُشاجم التخييلية عبر وصفه للمشط إذ إنَّ (صور الشعر او مخيلاته، تُثير جانباً خاصاً من الصور الذهنية، المختزنة في القوة الذاكرة لدى المتلقي)، فتدفعه إلى (طلب الشيء أو فعله، أو التخلي عن طلبه او فعله، وهو ما حصل من كشاجم في وصف مشط أهديه إليه:

ومُستقيمُ المَسِير عادلُهُ ليست له عترةُ ولا زللُ

(الديوان: 150)

فالصفات التي أوردها الشاعر في قوله (مُستقيم، المسير، عثرة، زللُ) جميعها صفات إنسانية تواشجت فيما بينها على صعيد البناء اللغوي، لتشكل صور فنية بعث فيها الحركة، والحياة على ما لا يُعقل من الجمادات من أجل استثمار دلالاتها مجازياً.

12- أنسنة الباشق:

هو اسم اعجمي مُعرَّب، يطلق على عدة أنواع من الطيور الجارحة (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (د.ت)،399/1)، ويرمز إلى الروح المحاربة الداخلية، من هنا حرص كُشاجم على تصوير الباشق تصويراً حسيَّاً، بما يجول في أعماقه من رغبة في تصوير أجزاء جسمه، بما يخدم الغرض الشعري الذي جاء بصدده:

نُبئتُ عندك باشقاً مُتَّخيـــــراً للصَّيدَ لم يُرَ مِثلهُ من باشِـــــقِ
وكأَنَّ جُؤجؤهُ وَرِيشَ جَنَاحِيهِ خُضباً بنقشِ يد الفتاة العاتـــــقِ
وَكَأَنَما تَسَكَن الهَوى أعضاءهُ فَأَعارَهُنَّ نُحُول جِسمِ العَاشِــقِ

(الديوان: 135)

فقد قامت بلاغة الأنسنة على مجموعة من الاستعارات في قول الشاعر: (خُضباً بنقش يد الفتاة العاتق) أي فصدر الباشق وريش جناحه يبدوان وكأن فتاة جميلة قل خضبتهما، وأعضاؤه خفيفة وكأنها من هواء): وقوله: (فأعارهنَّ نحول جسم العاشق) إذ استعاره إلى الباشق نحول جسمه كنحول جسم العاشق المحب)، وبما أنَّ كُلَّ استعاره ترسم صورة جزئية فإن مجموع الاستعارات المتعالقة تكوَّن صور مركبة، وفي مثل هذه الحالة يجب التأكيد على وجود رابط جمع هذه الصور إلى بعضها البعض، إذ إنَّ غياب هذا الرابط يجعل منها مجموعة من الصور تُملي من الذاكرة، وتصبح الصور في نهاية الامر مجموعة أوصاف وعواطف متناثرة هنا وهناك، فحين تتراكم مجموعة

من المشاعر في موقف واحد فإنَّ الشاعر يستعين بالتعالق الاستعاري لإخراج هذه المشاعر الداخلية، ومنحها إلى الموجودات الخارجية.

فكُشاجم أخرجها باللغة عن معناها الحقيقي إلى معان بلاغية مجازية عن طريق وسيلة بلاغة الأنسنة، ويمكن إدراك تلك المعاني عن طريق السياق الذي ترِدُ فيه.

13- أنسنة الزجاج:

أكثر كُشاجم من أشكال الصور التشبيهية في شعره منوعاً في نوعه فهو يؤمن أَنَّ (أهم ما يميز الشاعر عن غيره هو القدرة التخيلية التي تجعله قادراً على الجمع بين الأشياء المتباينة والعناصر المتباعدة، في علاقات متناسبة، تزيل التباين والتباعد، وتخلق الإنسجام والوحدة) (فاضل عبود خميس التميمي، أطروحة دكتوراه، 1995م، 244)، وهذا ما نجده في قوله:

أَغارُ إذا دَنَت مِن فيكَ كَأسٌ عَلــى دُرٍّ يُقَبِّلُهُ زُجــاجُ

وأَشفقُ إنْ دنا المصباحُ مِنْهُ على بدرٍ يُقابله سِراجُ

(الديوان: 3-4)

فتحت الاستعارة في هذا البيت أمام الشاعر سبل القول لأنسنة المعنويات، إذ إنَّ من أبرز خصائص الاستعارة أَنها تتعدى حدود الواقع العملي بدرجة كبيرة فليس في واقعنا (على دُر يُقبله زجاجُ) أي يجعل من الزُّجاج إنساناً يُقبل حبيبه، وإنَّما يوجد ذلك في المجال الإبداعي الانزياحي للغة – وبهذا يكون عمل الشاعر تغييراً للواقع، وهو ما أتاح قدراً كبيراً من التصرف في التعبير عن المعاني من خلال الأنسنة، فضلاً عن تصوير المعاني من خلال التشبيه التمثيلي، فهو يصور دنو الكأس من فم الحبيب، فيشبه أسنانه البيضاء بالدُّر، كما يصور وجه حبيبه وقد اقترب منه المصباح، بالبدر المنير الذي تقابله الشمس المشرقة.

14- أنسنة المعزوفة:

لم يفت كُشاجم، وقد تعرض إلى صميم الحياة الاجتماعية، أن يصور بعض أدوات الترف، وأن يتناولها في شعر مترف يتناسب وطبيعة هذه الأدوات، فصور المعزوفة بأوتارها الصاخبة:

معلنـــةُ الأوتـــار صخابـــةُ لها حنينٌ كحنيـــن الغريـــبْ

زادت على المزهر طيباً وقدْ تاهت على النّاي بخَلقٍ عجيبْ

مَكْسُـــوّةٌ أحشـــاؤُها حلـــةً من جلد أحشاء غزالٍ ربيـــبْ

كأنَّمـــا تسعـــةُ أوتارهـــا نصبن أشراكاً لصَيْدِ القلوبْ

(الديوان: 26)

ففي أبيات الشاعر وردت مجموعة من الصفات الإنسانية فألسن (المعزوفة) وأسبغ عليها من الصفات الإنسانية وأسنده إليها (حنين كحنين الغريب)، (مكسوةُ أحشاؤها)، (أوتارها لصيد القلوب) ليشخصها فاعلاً ومؤثراً، فنجد صورة استعارية وقد أسندت إلى عنصر الأنسنة بشكل أساس، وأضفت على النص جمالية فنية مستندة إلى الإنزياح اللغوي، فضلاً عَمَّا تمثلت القيمة الجمالية للبنية التصويرية في التشبيه التام (كحنين الغريب)، (كأنما تسعةُ أوتارها)، قدْ خلق بلاغة الأنسنة والهدف من الصورة هو تجسيد حال المشبه.

وفي ضوء ما تقدم نلحظ أَنَّ الشاعر استثمر أنسنة المحسوسات استثماراً لغويّاً منطلقاً من تمكنه من أزمّتها في فنون التعبير المختلفة التي تُشير في النفس حالات شعوريّة وإحساسات جمالية مُتباينة.

ثانيا: أنسنة المعنويّات:

وتقصد بالمعنويات هي الأشياء المجردة التي ليس لها وجود واقعي، ولا يمكن أنْ تُدرك بحاسة من الحواس، وإنما تُدرك عن طريق الذهن وإعمال العقل (علي بن محمد بن شريف الجرجاني، 1985م،131).

وقد استأثر ديوان كُشاجم بنصيب لا بأس به من الصور الشعريّة القائمة على تقنية الأنسنة للمعنويات، من نحو ما نجده في ديوانه:

1- أنسنة الأسقام:

يخرج كشاجم بوساطة تقنية الانسنة عن أطر المنطق العقلي واللغوي، ويحلق في سماء الخيال ليبعث الحياة في الصورة الشعرية، وهو ما يدفعه إلى دقة متناهية في تصوير المعاني، وهذا ما نجده في قوله:

حَانَ أنْ تستحي الأسْـــــــــ قامُ من جسمي وتَخزَى

(الديوان: 102)

فالصورة التي رسمتها الانسنة في هذا البيت صورة جمالية تحقق انفعالاً ملموساً وواضحاً لدى المتلقي حين يبدأ يتخيل أَنَّ للأسقام حياءً؛ فالصورة القائمة على هذا الفن أدّت تكثيفاً للنمط الفني، وكسرت رتابة اللغة بإخراج الألفاظ عن معانيها الحقيقة إلى معانٍ مجازية، عن طريق الانزياح اللغوي فكشاجم يَعَمدُ كثيراً إلى الأنسنة المصورة المجسمة في شعره، مستنداً إلى خيال خلاّق ورؤية واسعة للمشخصات.

2- أنسنة الرَّدى:

يبدو أَنَّ الردى مُمارِساً لعدد من الأفعال الإنسانية، والتي كانت تُحدد بحسب مزاج الشاعر، أو الحالة النفسية التي يمر بها في اثناء أنسنة الردى، وربما بحسب الغرض الشعري الذي ينظم فيه. لذا كان الردى عند كُشاجم يتمتع بصفة (الطمع):

طمعُ الرَّدى مُسْتَحِكمُ فيه فقد يَئَسَ العوائدْ

(الديوان: 174)

إنَّ مكمن الجمال في هذا البيت قائم على بلاغة الأنسنة في رسم صورته الشعرية وذلك في قول الشاعر: (طمعُ الرَّدى)؛ إذ استعار لفظ (الطمع) الذي هو من مختصات البشر إلى (الرَّدى) وهو شيءُ معنوي، وبذلك وثق دلالة البيت ومنحه شعرية واضحة.

3- أنسنة الجهل:

الابتكار الفني لا يتحقق إلا إذا أدهشنا بعلاقات لغوية جديدة غير متوقعة او مألوفة، ولن يصل الفنان إلى هذه العلاقات الجديدة إلا بتمكنه من فَنِّهِ، وموهبته الذاتية القادرة على الخلق، وتجاربه الطويلة في ميدان فَنّه، وهذا ما تجلّي في قوله:

حَلُمتُ عَنْهُمْ فأغراهُمْ لِجهلِهمُ حِلْمي وللجَهْلِ أصحابُ وأتْباعُ

(الديوان: 124)

بلاغة الأنسنة في البيت الشعري حملت عنصر المفاجأة الدلالية بأن عدل بسياق التركيب من المعنى المعجمي المتعارف إلى دلالة أخرى تقوم على الانزياح اللغوي، وذلك بإسناد (الأصحاب والأتباع) إلى (الجهل) المعنوي المجرد، وهو ما حرّف اللغة عن استعمالها الحقيقي، وهكذا نجد أنَّ هذه المعاني قد ارتقت إلى مرتبة الأنسان، ودبت في أوصالها حياة مثل حياته، فغدت تقدر على أن تحاكيه وتفعل فعله.

4- أنسنة الصَّبْرِ:

الصبرُ من القيم الأخلاقية، فقد دعا العقل إلى ضرورة تحلي الانسان بالصبر في كثير من مواقف الحياة؛ لأن الصبر على المكاره يزيل عن النفس الهموم والآلام، وهو أحد المضامين التي دعا إليه القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعاً، لهذا برز الصَّبر في شعر كُشاجم مُتشحاً بصفات الإنسان:

بالحِرْص في الرِّزق يّذلُّ الفني والصَّبْرُ فيه الشَّرَفُ الشامِخُ

(الديوان: 60)

إنَّ الجمال في هذا البيت قائمُ على فاعليه الأنسنة في رسم صورته الشعرية وذلك في قول الشاعر (والصبرُ فيه الشرف الشامخُ)، إذ استعارة لفظ (الشَّرفُ والشموخ) الذي هو من مختصات البشر إلى (الصبر) وهو شيء معنوي، وبذلك وثق دلالة البيت ومنحه شعرية واضحة.

5- أنسنةُ الدَّهْرِ:

وقد نال الدَّهر نصيباً في أنسنة كُشاجم من بين المعنويات الأُخر؛ لأرتباط مفهوم الدَّهر بالنوازل التي حلّتْ به، وحلّتْ بمن يحبهم من أهل العُلا، فضلاً عن مساسه المباشر بحياة الناس بصورة عامة وكُشاجم بصوره خاصة؛ ولأن الشعراء أكثر الناس حساسيه لأحداث الدَّهر، بسبب مشاعرهم المُرهفة نجدهم تفاعلوا معه بشكل كبير، وهذا ما نجده في قوله:

أعاتِبُ دَهْرِيَ والدَّهْرُ عَنْ عِتَاب الأدِيبِ أصَمُّ الأُذُنْ

(الديوان: 171)

فالشاعر أنسنَ (الدَّهْرُ) – وهو أمرٌ معنوي – إنساناً (أصَمُّ الأُذُن)، فنجد الصورة الاستعارية استندت إلى عنصر الأنسنة بشكل أساس، وأضفت على البيت جمالية فنية مستندة إلى الانزياح اللغوي.

وقوله:

فأعْمَلَ الدَّهرُ في ختلّي مكايَدَهُوالدهرُ يُعملُ في أهل العُلا ختلهْ
لكنْ قنعتُ فَلَمْ أرغبْ إلى أحدٍ والحـرُّ يحملُ عَنْ إخوانه كَلَّهْ

(الديوان: 145-146)

إنَّ القيمة التصويرية للبيت الأول تتمثل في انزياح لغته من الحقيقة إلى المجاز عن طريق فنّ الاستعارة القائمة على أنسنة أمر معنوي في قوله (الدَّهرُ – مكايَدَهُ) إذ إنَّ أضفى على (الدَّهر) سمة إنسانية تمثلت بالمكيدة، وهذا يُقضي بتخيلنا إلى الملاءمة بين الأشياء المتنافرة التي لا يمكن حملها على الحقيقة ما بين اللفظ ودلالته.

6- أنسنة المنايا:

المنايا اتخذت - هي الأخرى – سمات إنسانية كالعين، واستنطاق المعنوي والمجرد من لدُن الشاعر قد يكون من أجل إيجاد مُشاركة شعورية تعكس عواطف الشاعر، ويُعرب عن طريقها عن آلامه.

فالشاعر يخرج بوساطة الأنسنة عن أُطر المنطق العقلي واللغوي، ويحلق في سماء الخيال يبعث الحياة في الصورة الشعرية، وهو ما يدفعه إلى دقة متناهية في تصوير المعاني، وهذا ما نجده في قول كُشاجم:

وللمنايا عَيْنُ مُوَكَّلَةٌ بالحَيّ لَمْ تغتمضْ ولَمْ تَنَم

(الديوان: 165)
تتجلى فاعلية الأنسنة في قول الشاعر: (وللمنايا عَيْنُ) فلجأ إلى التخيل في المعنى عن طريق إسناد عضو من أعضاء الإنسان (عَيْنُ) لشيء معنويّ (المنايا)، فأضفى هذا التوظيف على التصوير بُعداً جديداً أكسبه قوة في إيصال الفكرة عن طريق الشحنة الدلالية التي حملتها الأنسنة.
ومما تقدم تبين لنا أن المعنويات – التي أنسنها كُشاجم – كانت متعددة في مضامينها، ومختلفة في أهدافها، إذ كانت ترمي إلى أهداف متعددة، ومتباينة في دلالتها، تتناسب مع عواطفه ونفيته والمقاصد التي كان يرمي إليها، وهذا ما اتضح لنا في طيّات البحث.

الخاتمـــة

يَجدُرُ بنا أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث، لتكتمل الفائدة وَيَعُمَ النفْع، فقد أسفر البحث عن جملة من النتائج، أهمُّها:
- أظهر البحث بأنَّ مصطلح الأنسنة، يعني دخول المحسوسات، والمعنويات التي تُضفى عليها سمات إنسانية؛ من كلام وأفعال وأحاسيس تحت مصطلح (الأنسنة)؛ فتبدو هذه الأشياء وكأنها انسان حقيقي وعاقل، يتسم بالحركة والحياة.
-أراد كشاجم من بلاغة الانسنة كشف الجوانب الادبية والجمالية والفكرية التي تسلط الضوء على الجانب المحسوس والمعنوي في ايضاح موضوعها أو مناسبتها ، ولعل ذلك جزء من ايمان الشاعر بوجوب تحقيق الانسجام بين افق النص وافق القارئ.
- شكلت الأنسنة في شعر الشاعر كُشاجم ظاهرة فنيةً مائزةً لها حضورها الفاعل في أبنيته الشعريّة، إذ اتسمت بالكثرة والتنوع والتجديد في بعض مضامينها وصورها، بَثَّ كُشاجم عن طريقها صفة الحياة والحركة على المحسوسات والمعنويات؛ وعَقَّلها في شعره.
- أظهر البحث أنَّ الشاعر استثمر أنسنة المحسوسات بنسبة كبيرة قياساً بأنسنة المعنويات التي تضاءلت نسبة توظيفها؛ لأن المحسوسات تبدو إلى الناظر أجساماً بأبعاد وحدود مدركة، فيستطيع أن يدركها عن طريق حواسه؛ لذا يكون إعطاؤها صفات إنسانيته أمراً يمكن تقبُلهُ من لدُن المتلقي، غير أن الأمر لا يكون كذلك مع المعنويات، فإعطاؤها صفات إنسانية يبدو أكثر غرابة من ذلك؛ لأنها لا تدرك بالحواسّ، ولا يمكن إدراكها إلا عن طريق العقل والمخيّلة.
- كشف البحث أنَّ كُشاجم حينما استثمر ظاهر بلاغة الأنسنة بإضفاء الصفات الإنسانية والحياة على ما لا حياة له، كانت متآزرة بشكل تام مع (فنّ الاستعارة، والتشبيه، والمجاز العقلي)، ومتضافرة معها، ومستندة إليها في تشكيل صوره الفنية.

المصادر والمراجع

1. اتجاهات الشعر الاندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود خلف، بغداد، ط1، 1990م.
1. أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن مُنيف، د. مرشد أحمد، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2002م.
2. جمع الجواهر في الملح والنوادر، أوذيل زهر الآداب، الحصري القيرواني، المطبعة الرحمانية، مصر، (د.ت).
3. خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.
4. ديوان كُشاجم، حققه أبو عبدالله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1998م.
5. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت769هـ)، تحقيق: محمد مجي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ط8، 1995م.
6. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 1992م.
7. الصورة الفنية معيارا نقديا: منحنى تطبيقي على شعر الاعشى الكبير، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م.
8. الصورة الفنية معياراً نقدياً، عبد الإله الصائغ، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1987م.
9. علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، د. صلاح فضل، دار الشرق، القاهرة، ط1، 1998م.
10. فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة، مصر، مطبعة المعرفة، 1958م.
11. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن شاكر الكُتبي (ت764هـ)، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1973.
12. قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، الرياض، مطبعة الرياض العليا، 1999م.
13. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن شريف الجرجاني (ت816هـ)، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ط2، 1985م.
14. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (711هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ط1، (د.ت).
15. معجم المصطلحات الأدبية، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ط2، 1985م.
16. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.

17. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي (ت429هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور مفيد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، ج1، 1983م.

الأطاريح والرسائل الجامعية:

1. الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب، فاضل عبود خميس التميمي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1995م.
2. الاستعارة في الذات البلاغي عند العرب، فاضل عبود خميس التميمي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1995م.
3. التشخيص في الشعر العباسي، ثاشر سمير، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004م.
4. شعر بشر بن ابي حازم، دارسة اسلوبية، رسالة تقدم بها سامي حماد الهمص، إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب في جامعة الأزهر، غزة، بإشراف الدكتور محمد صلاح زكي، 2007.
5. مفهوم الخيال وطبيعته في النقد القديم والبلاغة، فاطمة سعيد احمد حمدان، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1989م.

المستخلص باللغة الانكليزية

Kushajim's collection of poems contains a large share of poetic images based on the (element of humanization), so the researcher tries to focus on the effective impact that this element adds in shaping the artistic image, and to clarify the aesthetic aspect that linguistic displacement performs; as the poet sought in many places in his collection to bestow human qualities on tangible and intangible things, personifying them as beings with human qualities. Therefore, the researcher's attention was caught by the abundance of this phenomenon, and the aesthetic quality it added on the level of meaning, connotation and poetic image, so he worked to highlight its literary and artistic value.